مكتبة الأطفال الحديثة

رحلة لفنجستون

في قلب أفريقيا

١ـ سلسلة الرحلات الجغرافية



اهداءات ٢٠٠٣

أسرة /عبد الرزاق باشا السنهوري

القاهرة

مكتبة الاطفال الحديثة

رحلة لفنجستون

فى قلب افريقية

١ - سلسلة الرحلات الجغرافية



دافيد لفنجتسون الرحالة الافريقي

ان أمجدَ اسم فى تاريخ كشفِ افريقية ، افريقية التى أطلقَ عليها القدماء اسمَ القارة المظلمة ، القارة التى لم يكن يَعرفُ أحدٌ شيئاً عن مجاهِلها وعن أسرارِها ،

إنَّ أمجدَ اسمٍ مِن بين رُوَّادها هو دافيد لِفنجستون الرحالةُ الانجليزى .

وليس لفنجستونُ عظيما لاكتشافاته الجغرافية فقط ، بل لِما امتاز به من شخصيةٍ قويةٍ جعلته معبودَ أهلِ افريقية ، بل ان خدمتَه للانسانية جليلة رائعة فقد

أوقف تلك التجارة المنكرة ، تجارة الرقيق ، ثم انه فتح أبوابَ افريقية وكنوزَها الاقتصادية للعالم فأضاف كثيراً الى الثروة العالمية

* * *

بدأ لفنجستون رحلاته كمبشر فى جنوبى افريقية ، وكان فى بادىء الامر رفيقا لمبشر آخر هو روبرت موفات ، الذي رحل الى افريقية عشرين عاما قبل لفنجستون .

فى عام ١٨١٠ استوطن موفات كورومان بين نهر الفال وصحراء كالاهارى ، فى مكان يبعد سبعمئة

ميل من مدينة الرأس وكان موفات يقوم بتعليم قبائل البشوانا ، وعدا ذلك فكان يجيد الطباعة ، وفلاحة البساتين والحدادة ، وتساعده فى ذلك زوجهُ وفتاته مارى .

***

وفى عام ١٨٤١ هبط لفنجستون افريقية وعاش مع موفات وهو اسكتلندى مثله ، وسرعان ما أحبه الوطنيون وكان اذ ذاك فى الثامنة والعشرين من عمره ، فتعلم لغتهم وتطبع بعاداتهم فقربه ذلك الى نفوسهم ، ولما كان بحكم مهنته طبيبا ، فقد ازدادت مكانته وأهميته عندهم .

وكان لفنجستون صائدا ماهرا ، مقداما شجاعا . حتى انه أصيب ذات مرة اصابة خطرة من جراء هجمة أسد عليه ، اذ خرج للصيد فى مكان يبعد مئتى ميل عن كورومان .

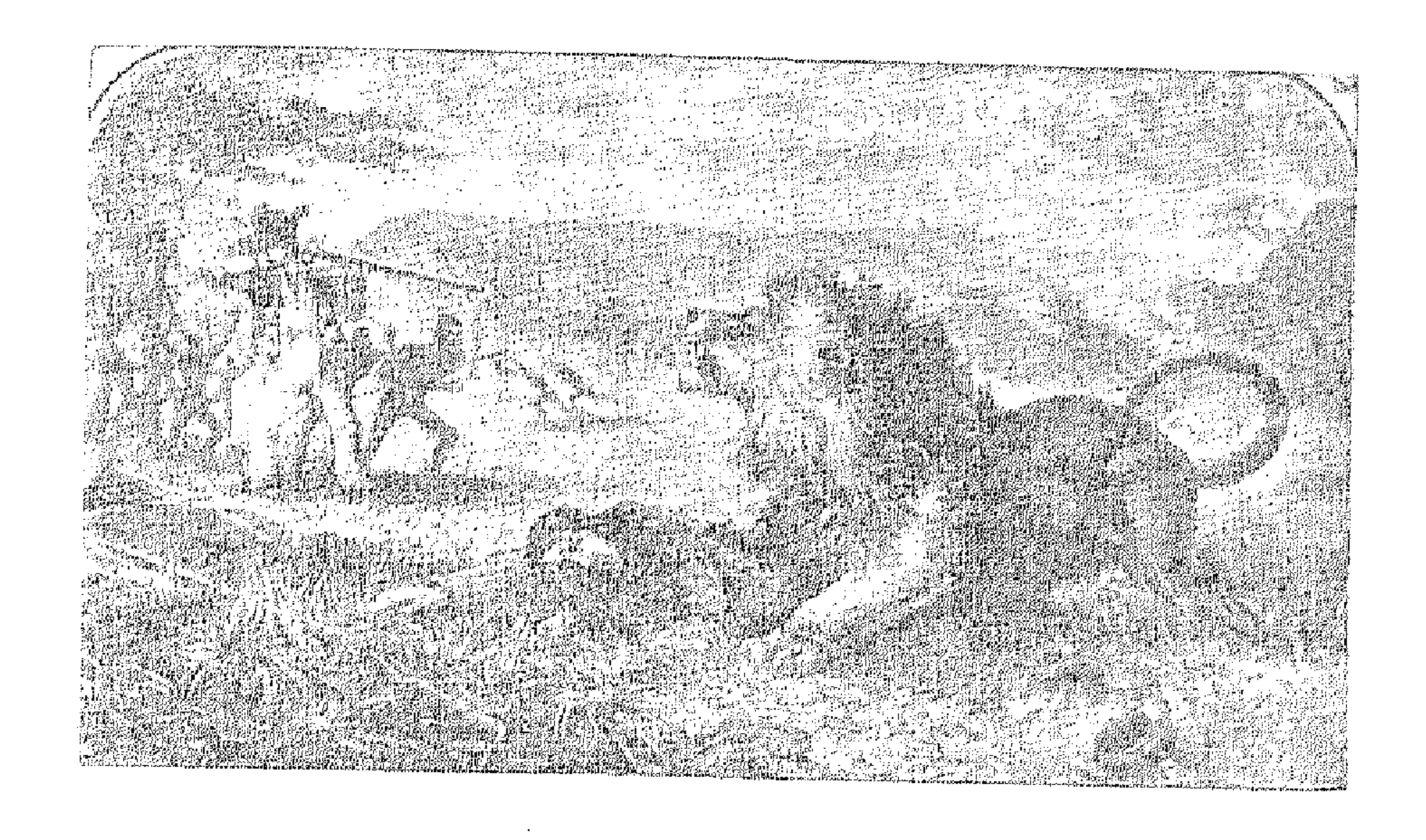
وهذه المنطقة كانت عُرضةً لغارات الأسود على زرائب البقر ، لهذا خرج لفنجستون مع جماعة من الاهلين لصيدها ، وبينا هو كذلك إذ رأى أسداً مُقعياً على صخرة تبعد عنه خمسة وعشرين مترا ، فما أسرع أن أطلق مقذوفين من بندقيته أصابت الاسد اصابة قاتلة ، ولكن ذلك هاج ثورة الحيوان الجريح فوثب عليه

وقبض على كتفه وألقاه تحت أقدامه .

وهذا مادونه لفنجستون فى مذكراته بعد ذلك :

«لقد كان الاسد فى ثورة هائجة ،فأخذ يهزنى هزا عنيفا كما يهز كلبٌ الصيد الفأر . فأصابنى اغماء أشبه شىء بذلك التى يُصيب الفأرَ اذا امسك بهالقط : ثمانهأنشب أظفاره فى مؤخر رأسى . . . » وفى تلك اللحظة ، أطلق أحد الاهالى بندقيته على الأسد ، فترك الاسد لفنجستون وهجم على العدو الجديد وعضه فى فخذه .

ثم قذف رجل آخر من الجماعة حربته نحو الأسد ، وكان هذاالرجل قدانقذه لفنجستون فيما سبق من اصابة



جاموس ، فتحول نحوه الأسد وأنشب أظافره فى كتفه ، ولكنه ما كاد يفعل ذلك حتى سقط ميتا فى مكانه . وذلك أن اصابته الأولى كانت قاتلة ، ومع ذلك فلم تسكن ثائرته حتى نكل بثلاثة رجال .

وكان من جراء هذا العراك أن تهشمت ذراع

لفنجستون اليسرى من الكتف الى المرْفق ، فاستبدلها بمفصل صناعى ، وكان لفنجستون الى آخر حياته يتألم من ذراعه هذه .

وفى العام الذى تلى هذا الحادث تزوج لفنجستون مارى موفات ابنة مواطنه . وفي عام ١٨٤٧ انتقل الى كولوبنج مصحوبا بعائلته المكونة من ثلاثة أبناء وفتاة ، ولم يكن ذلك المكان خصبا وفيرا ، حتى انهم كانوا فى أيام الجفاف لايجدون مايقتاتون به

ولقد كانت حياتهم ضنكة شديدة ، حتى انهم فى بعض الأحيان كانوا يأكلون الجذور بدلا عن الخبز .

كما كانوا يأكلون الجراد ، الذى قال عنه لفنجستون انه يشبه « جراد البحر » اذا ماقلى على النار . وفى بعض الأحيان كان الأطفال يطعمون أنواعا كبيرة من الشرانق وكانوا يستسيغونها . أما ما كانوا يعتبرونه طعاما ممتازا ،فنوع كبير من الضفادع يبلغ طوله نحو نصف قدم ، ذو أقدام طويلة خلفية تبلغ هذا القدر ، واذا ماطهيت كانت تشبه الفرخ .

* * *

أخبر بعض الأهالى لفنجستون وقد قدموا من صحراء كالاهارى ، ان فى قلب الصحراء بحيرة

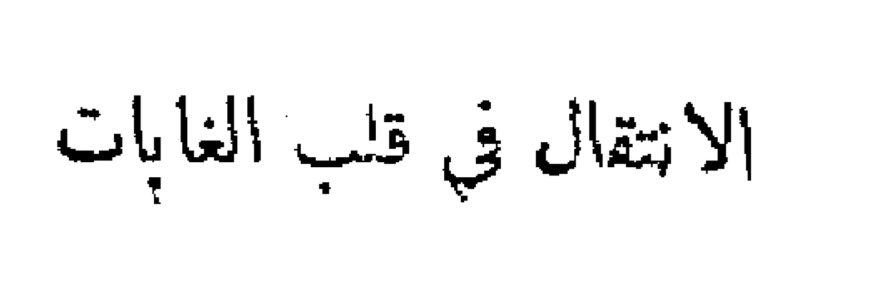
عظيمة اسمها نجاهمى ، وكذلك أخبروه بأن وراء هذه الصحراء بلادا عظيمة آهلة ، فيها كثير من الأنهار ، أنهار لم يتسن لهم عدها .

وفى يونيه عام ١٨٤٩ سار لفنجستون فى صحبة انجليزيين أُزْوِلْ ومارّاى لكشف بحيرةِ نجاهمى . ساروا ثلاثتهم ومعهم بعض الأدلاء الوطنيين ، حتى وصلوا هذه البحيرة بعد شهرين كاملين عبروا خلالها الصحراء . وفى ذلك الوقت كانت نجاهمى فائضة كما قال أولئك الأهلون ، ولكنها فى أيام الجفاف ينضب ماؤها وتجف

وليست كالاهارى كالصحراء الكبرى ، ولو أن تربتها جيرية بيضاء مثلها ، اذ انها مغطاة بالحشائش التى ترعاها كثير من الحيوانات كالغزال والأسدِ ، ووحيد القرن والفيل ، وابن آوى والفهد . وهنا وهناك يجد الرائدُ بعضَ الآبار ، وفى بعض الأحيان يجد الماء فى حفر هى بقايا بعض الأنهار المنقطعة ، وان كان سكانُ الصحراء ، من ناسٍ ومن حيوان يعتمدون كثيرا فى ارواء غُلَتِهم على البطيخ الذى ينمو بكثرةٍ فى تلك الأنحاء .

ويسكن هذه الصحراء غيرُ قبائلِ البشوانا قبائل





الانتقال في قلب الغابات

أخرى من البشمان وهم قوم غلاظ متوحشون يعيشون على الصيد ، ولا يعتمدون فى طعامهم على الزراعة .

وأراد لفنجستون أن يزور أحدَ رؤساء القبائل ممن يعيشون فى شمال تلك المنطقة الا أنه لم يتسن له ذلك فى تلك الرِّحلة . وفى العام التالى رحل مرةً أخرى الى نجاهمى ، مصطَحِبا هذه المرة زوجتَه وأولادَه فى عربةٍ تجرُّها الثيرانُ وهو على ظهر جواد . ولكنهم ما كادوا يصلون الى نَجاهْمِى حتى أصابت أطفالَه الحمى ، فلم يجد بُدا من الرجوع من حيث أتى .

الا أن ذلك لم يوهن من عزم رجلٍ قوى الشكيمةِ مثل لفنجستون ، اذ أنه أعاد الكرةَ للمرة الثالثة ، مصطحبا عائلته وصديقَه أُزْوِلْ ، ولكنه فى هذه المرة سار رأسا الى الشمال الى سبيتواهْنى ، أحد رؤساء القبائل الذين مّدوا سلطانَهم على منطقةٍ واسعة خصبة فى قلب افريقية . وبعد مصاعب عديدةوصل لفنجستون الى نهر شوباى حيث يسكن سيبتواهنى ، الذى سار مئة ميل لكى يستقبل لفنجستون « الطبيب العظيم » ، وقد كان تواقا دائما الى رؤيته ، لما عَرَف عنه من عطفٍ ورعاية لأبناءعشيرته .

ولكن سبيتواهنى أصيب بمرض ومات بعد قليل . ولقد كان اعجابه بلفنجستون كبيرا ، ولاسيما بزوجة لفنجستون وأطفالها ، حتى انه وهو على سرير الموت نادى أحد خدمه وأمره أن « اذهب برو برت (وهو أحد أبناء لفنجستون) الى زوجتى لكى تعطيه شيئاً من اللبن »

وبينما كان لفنجستون (ورفيقه أزوِل) يتبع مجرى نهر شوباى وصل فى يونيه عام ١٨٥١ الى نهر عظيم ، وهو نهر الزنبيزى . ولقد اكتشف البرتغاليون نهر الزنبيزى قبل ذلك العهد بعشرات

السنين وتتبعوا مجراه من المصب على مياه المحيط الهندى الى مسافة بعيدة ، ولكن تلك المنطقة التى اكتشفها لفنجستون لم يزرها من قبله رجل أبيض . وكان وصول لفنجستون فى فصل الجفاف ومياه النهر على أقلها ، ومع انه كان على بعد ألف ومئتى ميل من الشاطىء الا أن عرض النهر كان يبلغ بضع مئات من الأمتار .

ولما كانت المنطقة بين الشوباى والزنبيزى كثيرة المستنقعات والأمراض ، ارتأى لفنجستون أن يرسل عائلته الى انجلترا ، لكى يكون حرا طليقا

قرية من قرى البشوانا

فى رحلاته ، وللعناية بالوطنيين .

سافر لفنجستون مع عائلته الى مدينة الرأس ، وبعد أن أبحروا الى انجلترا رجع ثانية فى رحلة طويلة الى قلب افريقية، وبعد أن قطع ألفا وخمسمئة ميل وصل شوباى فى مايو سنة ١٨٥٣ ، فاستقبله سِكِلِنو الزعيمُ الجديد . وكان هذا الزعيمُ الجديد ابنا للزعيم السابق صديقِ لفنجستون الحميم ، وكان على عهد أبيه حُبا وعطفا على لفنجستون ، حتى انه لما قرَّرَ لفنجستون أن يعود الى كشف الزنبيزى رافقه بنفسه فى رحلته مصطحبا جمعا

كبيرا من الوطنيين فى نحو ثلاثة وثلاثين قاربا ، فى منطقة لم تطأها قدم أوربى من قبل .

وكان النهر جميلا فتانا ، وكان يبلغ عرضه فى بعض الأنحاء نحو الميل ، ولكن الاقليم كان لايصلح للحياة ، وعند ما آب لفنجستون عزم على أن يقوم برحلة طويلة يسير فيها غربا الى المحيط الاطلانطى .

وفى نوفمبر سنة ١٨٥٣ ترك لفنجستون لنيانتى مصحوبا بخمسة وثلاثين من الوطنين ممن كانوا يودون أن تصل تجارتهم الى الشاطىء . واستمرت

الجماعة فى تجوالها ثلاثة أشهر ، مابين غابات مشتبكة ، ومستنقعات واسعة ومناطق حشيشية ، عبروا خلالها كثيرا من الأنهار .

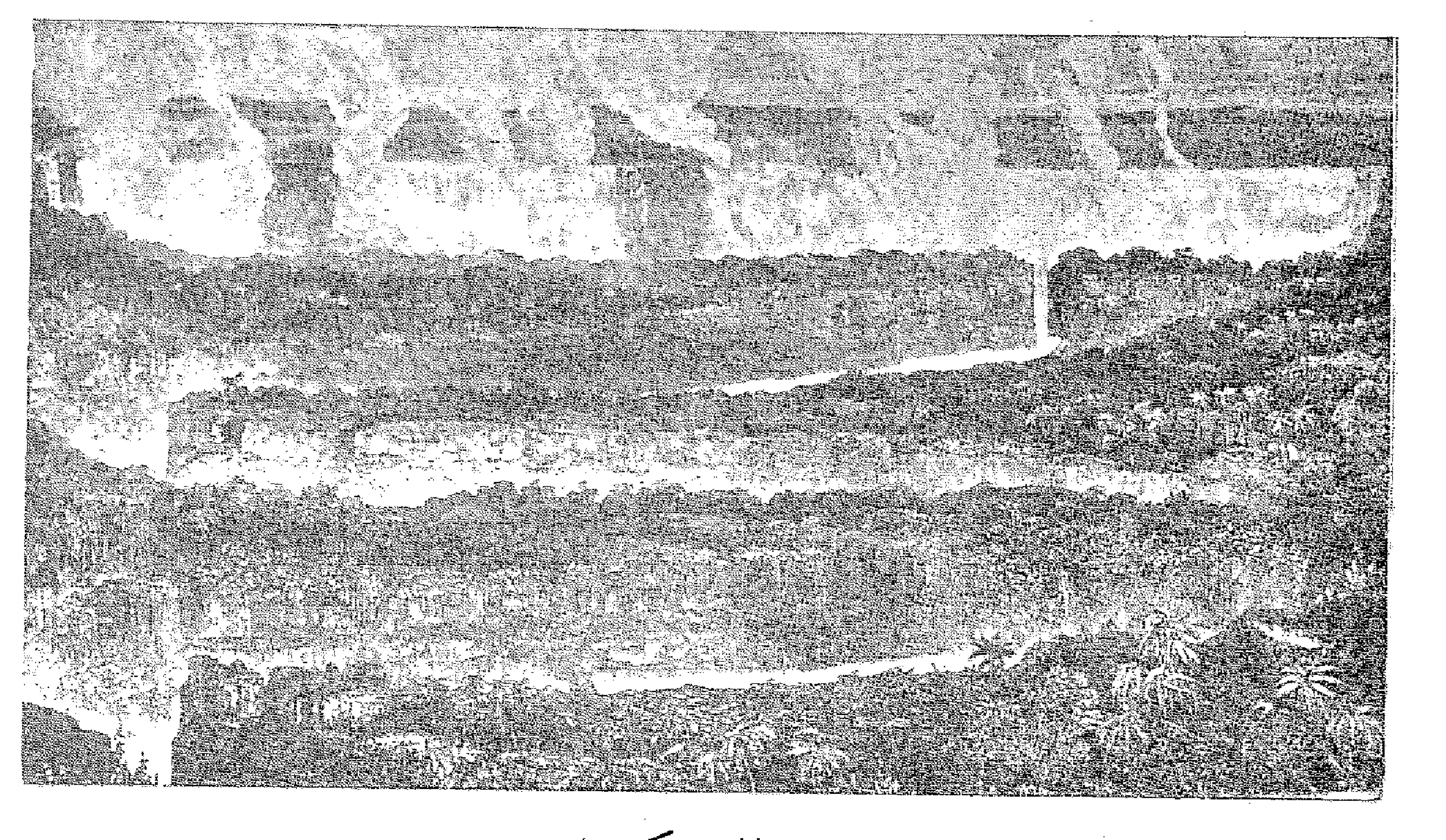
وأثناء هـذه الرحـلة التقى لفنجستون ببعض البرتغاليين المستوطنين الذين نزحوا من الغرب وهم يتاجرون فى الرقيق وفى العاج ، كما التقى لفنجستون كذلك ببعض زعماء القبائل ، وحدث ذات مرة أن دعاه أحدُ مضيفيه ، زعيمٌ يدعى شِنتو ، وكان الوقت ليلا ، وعندما وصل الى كوخ الزعيم وجد فتاة فى العاشرة من عمرها فأشار اليها الزعيم وقال للفنجستون

« هذه هى هديتى اليك ، لأن من عادتى أن أهدى زائرى فتاة صغيرة » وما أشد دهشة الزعيم حينما رفض لفنجستون هديته ، وما كان ليصدق أن رجلا ما يفعل مثل ما فعل هذا الرجل الأبيض

وفى النهاية ، وفى فبراير عام ١٨٥٤ وصل لفنجستون الى المحيط الى مدينة لواندا البرتغالية . وصل الى هناك وهو منهوك القوى من السفر الطويل ومن الحمى حتى إنه فى آخر رحلته عجز عن الجلوس على الثور الذى يركبه . وكم كانت دهشة الوطنيين عظيمة عندما رأوا المحيط ، وصاح أحدهم

« لقد كنا نسير مع أبينا — ويقصد لفنجستون — وكنا نعتقد بما كان يقوله لنا العجائز ، ان الدنيا ليس لها نهاية ، ولكننا عندما وصلنا الى البحر خيل الينا أن الدنيا صاحت بنا « انى قد انتهيت — ليس عندى من شىء جديد »

وأخذهم لفنجستون الى سفينة حربية انجليزية كانت فى الميناء حينذاك وجعلهم يتفقدونها ، وكان سرورهم بذلك عظيما ، فأخذوا يقولون « انها ليست بقارب ، انها مدينة ولكن يالها من مدينة عجيبة ، نصعد اليها بحبل معلق »



شلالات فكتوريا

* * *

وفى كل هذه الرحلات ، لم يجد لفنجستون مكانا يرغب فى أن يستقر فيه . ولـكنه فى الحقيقة لم يكن يعرف الاستقرار والهدوء ، إذ أنه بطبيعته نزّاعٌ الى السفر والتجوال ، لهذا ليس غريبا أن يطلقوا عليه اسم « كشّاف الطرق »

بعد حين ، ترك لفنجستون لُواندا ورجع ثانيةً الى قلب افريقية ، ولـكنه كان يسير فى هذه المرة سيرا وئيدا حتى انه لم يصل الى لنيانتى الاّ فى سبتمبر سنة ١٨٥٥ — ولـكنه لم يمكث بها الا عشرة أسابيع ،

حتى أجمع الرأى على رحلة جديدة ، وفى هذه المرة قر قراره على أن يسير شرقا الى مصب الزنبيزى .

ولم يكد يسير أسبوعا حتى اكتشف أن مياه النهر تسقط فى هوة هائلة ، مكونةٍ أكبر شلال فى العالم ولقد سمع لفنجستون بخبر هذه الشلالات من بعض الوطنيين الذين كانوا يلقبونها « موزى — أوا — تونيا » أو « صوت الدخان » وذلك أن المياه أثناء انحدارها العظيم تُحدِثُ هديرا هائلا ، وينبعث منها رذاذٌ ينعقد فى الجو كأنه الدخان الأبيض .

فاستقل لفنجستون قاربا وأخذ يُجَذِّفُ حتى وصل

الى جزيرة صغيرة على حافة مسقط الشلال ، ولكنه لما لم يَرَ أين يهوى الماء ، ترك القاربَ وأخذ يزحفُ بحيْطَةٍ وحَذَر الى أن وصل الى طرف الجزيرة حيث رأى المياه المنحدرة وقد استحالت فى أسفل المسقط الى بركة هائجة ، شقت طريقها بين الصخور ، حتى بدت بيضاء من شدة اندفاعها .

فدعا لفنجستون هذه الشلالات « شلالات فكتوريا » نسبةً الى الملكة فكتوريا ، ملكة انجلترا اذ ذاك . وعلى ضفتى المجرى وفى أسفل الشلال ، أُقيمَ الآن جسر للسكة الحديدية ، وعلى مسافة بضع

أميال من رأس الشلال أُقيمتْ بلدةٌ دُعِيتْ باسم رحالتنا العظيم « لفنجستون »

* * *

ثم سار لفنجستون فى اتجاه مصب الزنبيزى فوجد بعد قليل أن النهرَ صالح للملاحة ، ثم وصل بعد ذلك بصُحبة رجاله الى منطقةٍ على النهر استوطنها البرتغاليون وأنشأوا لهم قرى صغيرة فيها .

وقد حدث مرة بينما كان لفنجستون وصحُبه سائرين على مقربة من ضفاف النهر اذا بثلاث جواميس برية تندفع فى صف الحمالين الوطنيين . وكان

لفنجستون ممتطيا ظهر ثور فعدا به فجأة عند ما أحس بالخطر . وعند مانظر لفنجستون الى الوراء ، وجد رجلا من أتباعه قذف به جاموس فى الهواء ، وقد نزفت من الجاموس الدماء

ولما اتصل بالقافلة ، اكتشف أن هذا الرجل عند ما رأى اندفاع الجاموس نحو القافلة ألتى بحمله وطعن احداها بحربته ، عند ذلك دار نحوه الجاموس وحمله على قرونه بضع أمتار قبل أن يقذف به فى الهواء . ومن العجيب أن الرجل بعد سقوطه على

الأرض لم يُرَضَّ منه عظم ولم تخدشْ جلدَه قرونُ الجاموس .

وفى مارس سنة ١٨٥٦ وصل لفنجستون فى النهاية الى المحيط ، عند بلدة « كليماناى » البرتغالية . فبذلك تسنى له أن يقوم بما لم يقم به رجل أوربى قبله ، أن يعبر القارة الافريقية من المحيط الاطلنطى غربا الى المحيط الهندى شرقا .

* * *

ولأول مرة ، بعد ست عشرة سنة يبرح لفنجستون افريقية الى انجلترا ، ولكنه لم يمكث

فى موطنه طويلا اذ أنه قبل أن يحول عليه الحول كان الرحالة الافريقى العظيم فى طريقه ثانية الى القارة المظلمة .

* * *

فى هذه المرة عين لفنجستون قنصلا لانجلترا فى جنوب وغرب افريقية ، بيد أنه لم يرجع بمفرده اذ اصطحب أخاه شارلس ، وطبيبا اسمه كرك ثم ثلاثة من الأوربيين ، وفى مايو سنة ١٨٥٨ وصلوا الى مصب الزنبيزى ، وفى أثناء ذلك قام لفنجستون بعدة رحلات على ضفاف النهر ، كما أنه زار شلالات



قافلة من الرقيق

فكتوريا ، وزار صديقه الزعيم سكيلتو

لبثت هذه البعثة ست سنوات فى افريقية ، تمكن خلالها لفنجستون من كشف شيراى وهو نهر كبير يلتقى بنهر الزنبيزى على بعد مئة ميل من مصبه . فوجد انه ينبعُ من بحيرة نياسا ، التى لم يتسن لأوربى قبله أن يزورها مع أن الكثير قد سمع بخبرها من قبل .

وصل لفنجستون الى هذه البحيرة فى سبتمبر سنة ١٨٥٩ برفقة صديقه كرك ، وبحيرة نياسا تُعد من أكبر بحيرات العالم اذ يبلغ طولها ٣٥٠ ميلا ، ويتفاوت عرضها بين ١٥ ، ٥٠ ميلا ، وهى عميقة جداً ،

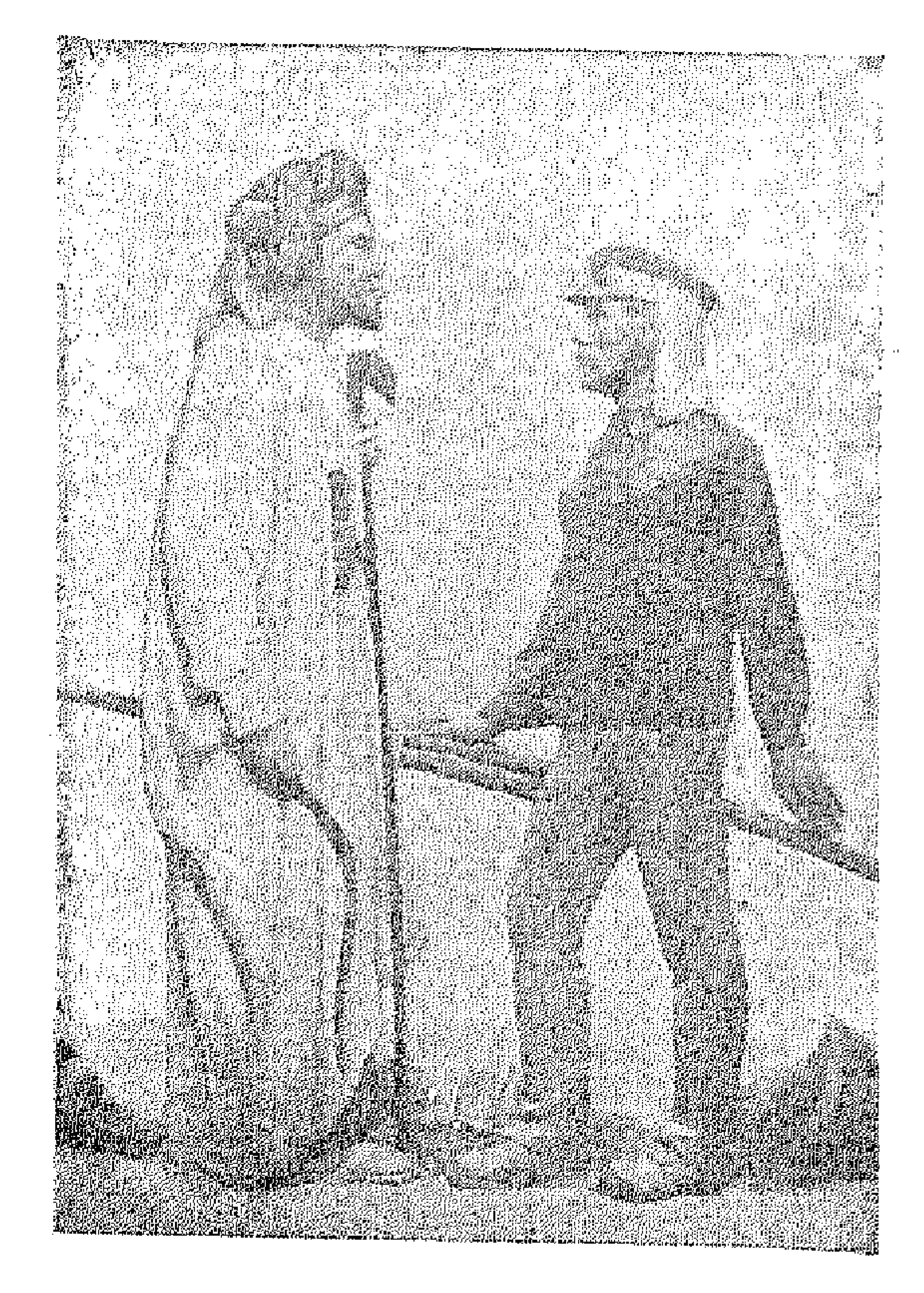
تمتد على جانبيها الجبالُ العالية .

ولما وجد لفنجستون خصب هذه المنطقة التي يجرى فيها شيراى وصلاحيتها لسكنى الجنسِ الأبيض ، أرسل بخبر كَشْفها الى انجلترا . فرحل اليها كثيرٌ من المبشرين والمشتغلين بالتجارة ، وتُعَد الآن « نياسا لاند » احدى المستعمرات الغنية الناهضة فى الامبراطورية البريطانية .

وجد لفنجستون أن تجارةَ الرقيقِ رائجةٌ فى تلك المنطقة ، وأن بعض القبائل تَشنُ الغاراتِ لجمع العبيد ، وعدا ذلك فان كثيرا من العرب كانوا ينزحون من الشمال خصيصا لصيد الزنوج ، وكذلك الكثير من البرتغاليين يهبطونها لهذا الغرض ، ولكنهم

كانوا يحاولون اجتناب طريق لفنجستون ، خوفا من أن ينشرَ أخبارَ هذه التجارةِ فى أوربا ، التجارةِ التى حوّلت بقعة من أجمل بلاد الله الى جهنم على الأرض ، لأنهـا كانت تدر عليهم الثروات الهـائلة التى كانوا يخافون أن تنقطع اذا ما انتشرت أخبارُها فى أوربا.

وفى ذات يوم التقى لفنجستون بقافلةٍ من الرقيق تتـكون من نحو ثمانين عبدا مابين رجل وامرأة وطفل ينحدرون من جانب التلال وقد غُلُّوا تغليلا مؤلما . وكان يقود القافلةَ جماعةٌ من الزنوج حملوا البنادق وتمنطقوا بالملابس الزاهية ينفخون فى



لفنجستون يواجه أحد النخاسين

الأبواق ويَدُقون الطبولَ ، وقد امتلأت نفوسهم زهوا وخيلاء .

ولكنَّهم ما كادوا يلمحون لفنجستونَ وجماعته ،

حتى حملوا رءوسهم الى الغابة بكل مافيهم من قوة ، تاركين غنيمتهم فى يد لفنجستون ورفاقه . وما كان أشد فرح هولاء المساكين ، الذين دقوا رءوسهم من شدة الغبطة ، وركعوا أمام لفنجستون وصحبه يبللون أقدامهم بدموع الفرح . وسرعان ماقطع هؤلاء القيود التى غلت بها النساء والأطفال ، وبعض هؤلاء كان فى الخامسة من عمره . بيد أنه لم يكن يسيرا عليهم أن يطلقوا سراح الرجال الذين قد شُدَّت رقابهم بقطع من الخشب سمرت حول العنق بقضبانٍ من الحديد ، وكان الحظ رفيقهم فوجدوا منشارا مع بعضهم فبذلك خلصوا هؤلاء

المساكين من هَوْلِ الأغلالِ الوحشية .

قص هؤلاء الزنوجُ قصصا مرعبةً عما حدث لهم مع صائديهم ، فقد حدث فى اليوم السابق أن قتلوا منهم امرأتين لأنهما حَاولَتا فكَّ الأغلال ؛ كما قتلوا طِفلا صغيرا ، لأن أمَّه لم تقدرْ على حمله ورفعِ الحملِ الثقيلِ الذى معها ، وفى الوقت نفسه قتلوا رَجُلا بضربةِ فأسٍ لأن التعبَ هدَّه فلم يقدر على مواصلة السير مع القافلة .

أثارت هذه القصصُ حفيظةَ لفنجستون ، ولكنه كان حكيما عاقلا لم يُرِد أن يقف فى وجه هذه التجارة بالقوة والعنف ، ولكن بتعليم

الوطنيين حِرَفا جديدة كزراعة القطن وقصب السكر بدلا من صيد الرقيق

بعدئذ ترك لفنجستون الجماعة ، وسار مع أخيه شارْلِس وكِرك بصحبته ملاحٌ أوربى الى بحيرة نِيأسا حيث قَضيا شهرين على مياهها فى قاربٍ صغير ذى أربع مجاذيف يدعوه « جِجْ » وكان ذلك فى سبتمبر سنة ١٨٦١ . وأثناء هـذه الرحلة تمكن لفنجستون من تسلقِ الجبالِ الغربية التى تُطِل على البحيرة ، وعند ماوصل الى قمتها اكتشف سهولا واسعة ممتدة رأى أنها تصلح لسكنى الأوربيين ؛ بيد أنه أرجأ كشفها الى وقت آخر .



بعض قبائل البشوانا

بعد هذا آب لفنجستون الى وادى الزنبيزى بجوه الحار الماطر ليستقبل زوجته وقد جاءت برفقة بعض المبشرات ولكن لم تطل اقامتها اذ ذاك ، اذ سرعان ما أصيبت بالحمى وتوفيت على الأثر فى ٢٧ ابريل سنة ١٨٦٢ .

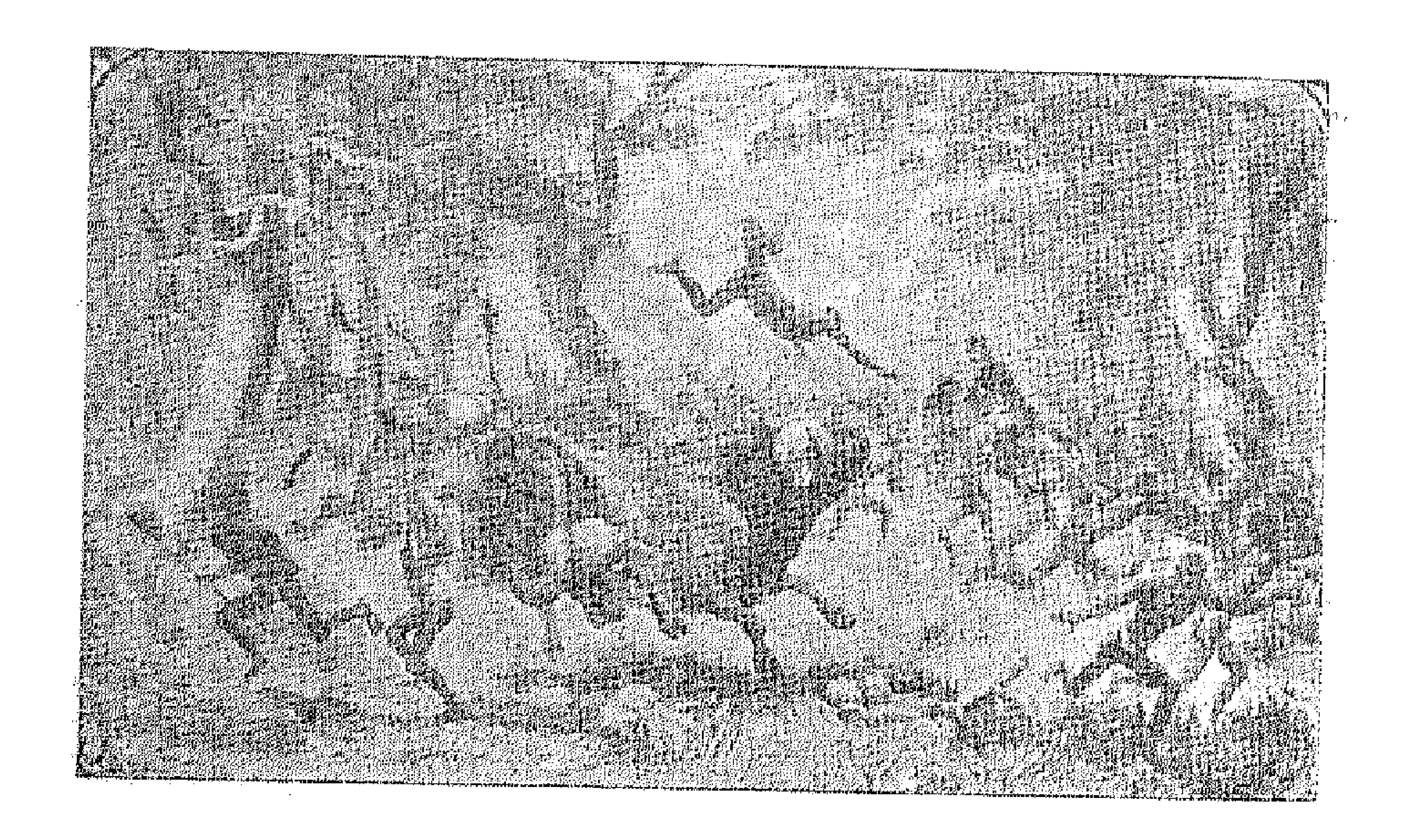
رجع لفنجستون الى نياسا وبدأ كشف المنطقة السهلية التى أرجأها من قبل ، وأراد أن يتم كشفها ، بيد أن الحكومة البريطانية أرسلت فى طلبه ، فلم يتمكن من اتمام مابدأ به

وكان ذلك العهد عهد اكتشافات جغرافية هامة ، اذ أن لفنجستون عند مارجع الى انجلترا

فى صيف عام ١٨٦٤ ، كان قد سبقه اليها رحالتان عظيمان كان يجوسان فى الوقت نفسه أنحاء أخرى من افريقية ، وهما سبيك الذى كشف أن النيل ينبع من بحيرة فِكتُوريا نِيَانزا ، وبيكر وهو الذى كشف بحيرة الْبِرْت نِيَانْزا . وكانت الفكرةُ رائجةً فى ذلك الحين ، على أن للنيل منبعا آخر غير هاتين البحيرتين ، وكان لفنجستون يعتقد بهذا الرأى .

* * *

وفى عام ١٨٦٦ رَجَعَ لفنجستون الى افريقيةَ عازما على القيامِ برحلاتٍ أخرى لكشف الأنحاء المجهولة فى القارة ، وصل لفنجستون هذه المرة الى



قطيع من الجواميس تهجم على قافلة لفنجستون

ميناء صغير فى شمال مصب الزنبيزى ، وسار من ثم الى جنوبى بحيرة نياسا ومن هناك انحرفَ غربا الى تلك المنطقة التى كشفها من قبل ، حتى جاء الى نهر اسمه شامبزى ، لايصبُ فى بحيرةِ نياسا ولايلتقى بنهر الزنبيزى بل يسيرُ غربا الى حيث لايعلم

وكان السؤال الذى ملأ رأس لفنجستون اذذاك ، أين يذهب هذا النهر ؟ فقضى ثلاث سنوات ، جاس خلالها تلك المنطقة شمالا وغربا ، حتى وصل الى الاجابة على هذا السؤال فى أوائل عام ١٨٦٥

اكتشف لفنجستون أن هذا النهر يصب فى مستنقع فسيح ، تجاوره بحيرة عظيمة هى بحيرة بنْجِويلو ، ومن الضفة الأخرى لهذا المستنقع يصب نهرٌ آخر يسير شمالا وينتهى ببحيرة أخرى ، هى بحيرة مُويِرُو ، ووجد هذا النهر يتصل بنهيرات أخرى وانه يسير شمالا وانه يُدعى لَوِيلَابَا .

ومع أن هذه المنطقة قد طرقها من قبلُ بعضُ الرحالةِ البرتغاليين ، إلّا أن لفنجستون كان الأوربى الأولُ الذى يكتشف هذه الأنهار وهذه البحيرات ولقد ظن لفنجستون اذ ذاك أن لوبلابا أحدُ فروع النيلِ العليا — وهو كما نعلم أحدُ فروع الكونغو الذى يُعد من أكبر أنهار العالم — نعم لقد افترض لفنجستون فيما افترض حينذاك أن لوبلابَا قد يكون من فروع الكونغو، ولكنه كان يؤمل أن يكون من منابع النيل العليا .

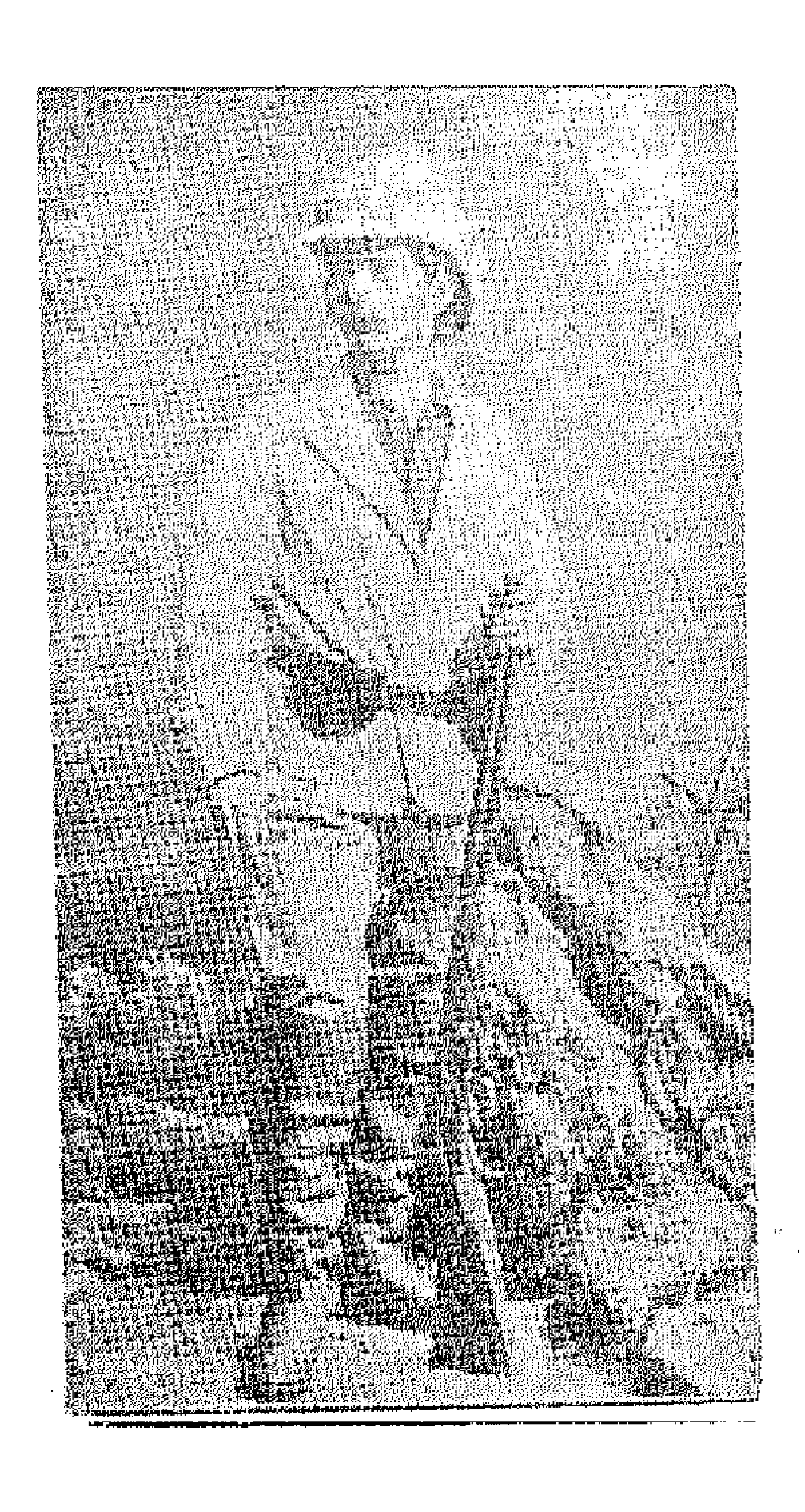
وفى هذه الرحلة لم يُرافقْ لفنجستون أحدٌ من الأوربيين ، ومع ذلك فان رفاقه الوطنيين أخذوا

ينصرفون عنه واحدا اثْر واحد ، حتى انه فى نهاية هـذه الرحلةِ لم يكن معه الا أربع أو خمس من الأتباع ، ولكن هؤلاء الأتباع كانوا شديدى التحمس له والتعلق به .

لاقى لفنجستون فى رحلته هذه ما كان يثير ثائرتَه ، فقد كانت هنالك جموعُ العرب الذين كانوا يجوبون تلك المنطقَة مابين بحيرات نياّسا وتَنْجانيقا لصيد الرقيق . وقد التقى لفنجستون بكثير من هؤلاء العرب الذين وان كانوا يعرفون مقدار بغضِ لفنجستونُ لتجارتهم إلاّ أنهم كانوا يحسنون مُعاملته .

ومن ثَمَّ ذهب لفنجستون الى يوجيجى ، وهى بلدة صغيرةٌ على بحيرةِ تنجانيقا قد وصلها سبيك وبيرتن من قبل فى عام ١٨٦٨ ، ومن هنالك سار لفنجستون فى منطقة مأهولة بالمتوحشين الى ليولابا ثانيةً .

وبَينا كان لفنجستون ذاتَ يوم فى بلدة اسمها نيانْجِوى على النهر ، اذا بجماعةٍ من العرب هبطوا السوق فجأة . وسرعان ماأعملوا النارَ فى المجتمعين فقتلوا بعضَ مئاتٍ من الرجال والنساء والأطفال ، زاعمين أن بعض الوطنيين قد خانهم . ولقد كان المنظر حقا مفجعا ، حتى ان لفنجستون عند ما دوّن خبر



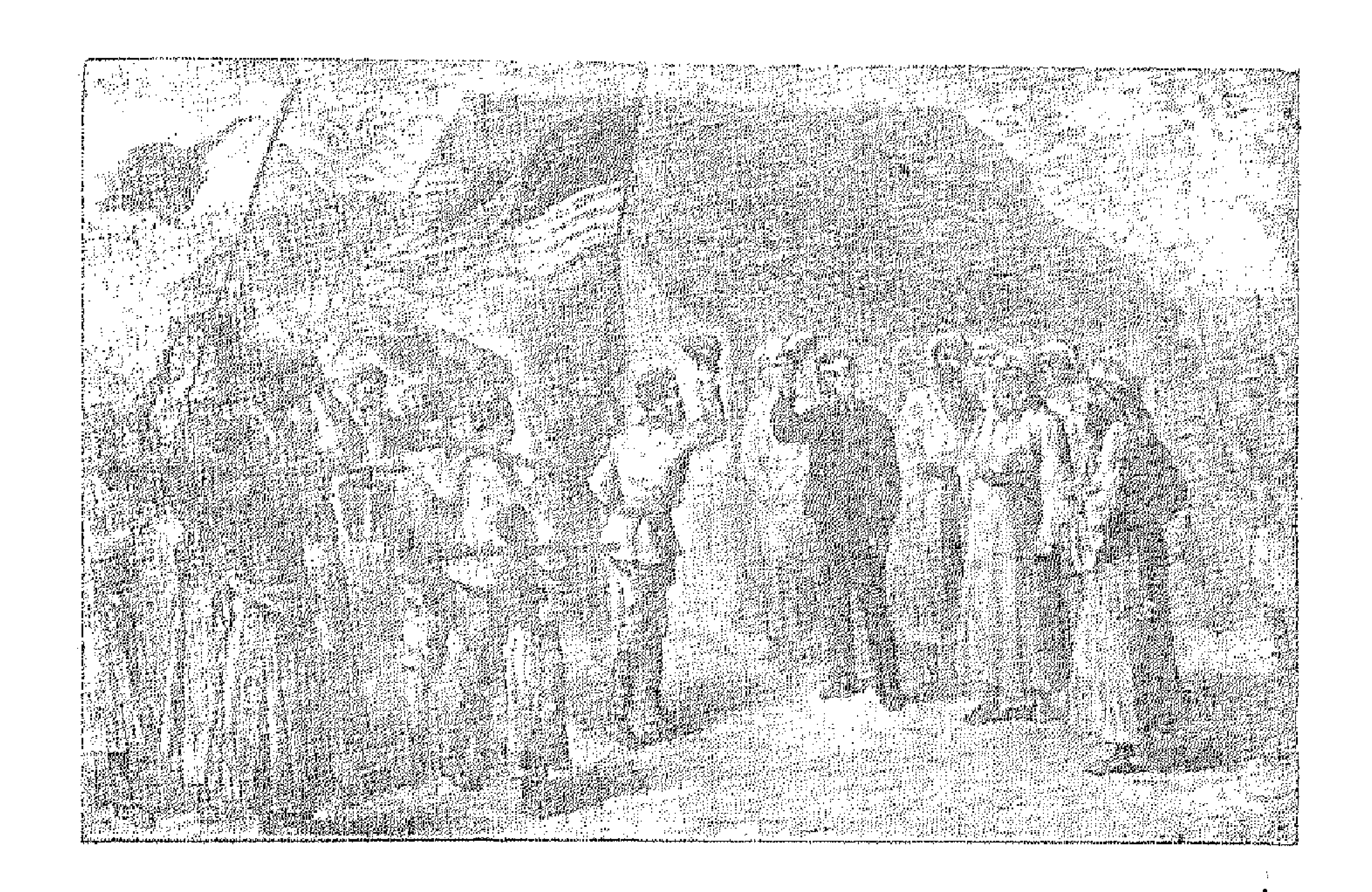
ستانلى

ذلك فى مذكراته قال بأنه كان يشعر بأنه فى جهنم
اذ ذاك ولم يمكنه ولم يمكن الوطنيين أن يفعلوا شيئا

ولكنه عند ماكان فى طريقه الى يُوجيجى ، اذا بجماعةٍ من الوطنيين تخرج عليه من الغابة وتهاجمه ، ولقد كان ذلك للمرة الأولى فى حياة لفنجستون أن يهاجمه أحدٌ من الوطنيين ، ولكن ذلك كان بطريق الخطأ اذ ظنه الوطنيون بعض جماعة العرب . وكان الوطنيون مختبئين فى غابة ملتفة ، وكانوا يقذفون بسهامهم المسمومةِ على قافلةِ لفنجستون ، واستمر التراشق خمسَ ساعاتٍ كاملةٍ ، تبين بعدها أن لفنجستون لم يُصَب بأذى ، ولم يجرح الا واحدٌ من أتباعه

* * *

وصل لفنجستون يوجيجى فى ا كتوبر سنة



التقاء ستانلي بلفنجستون

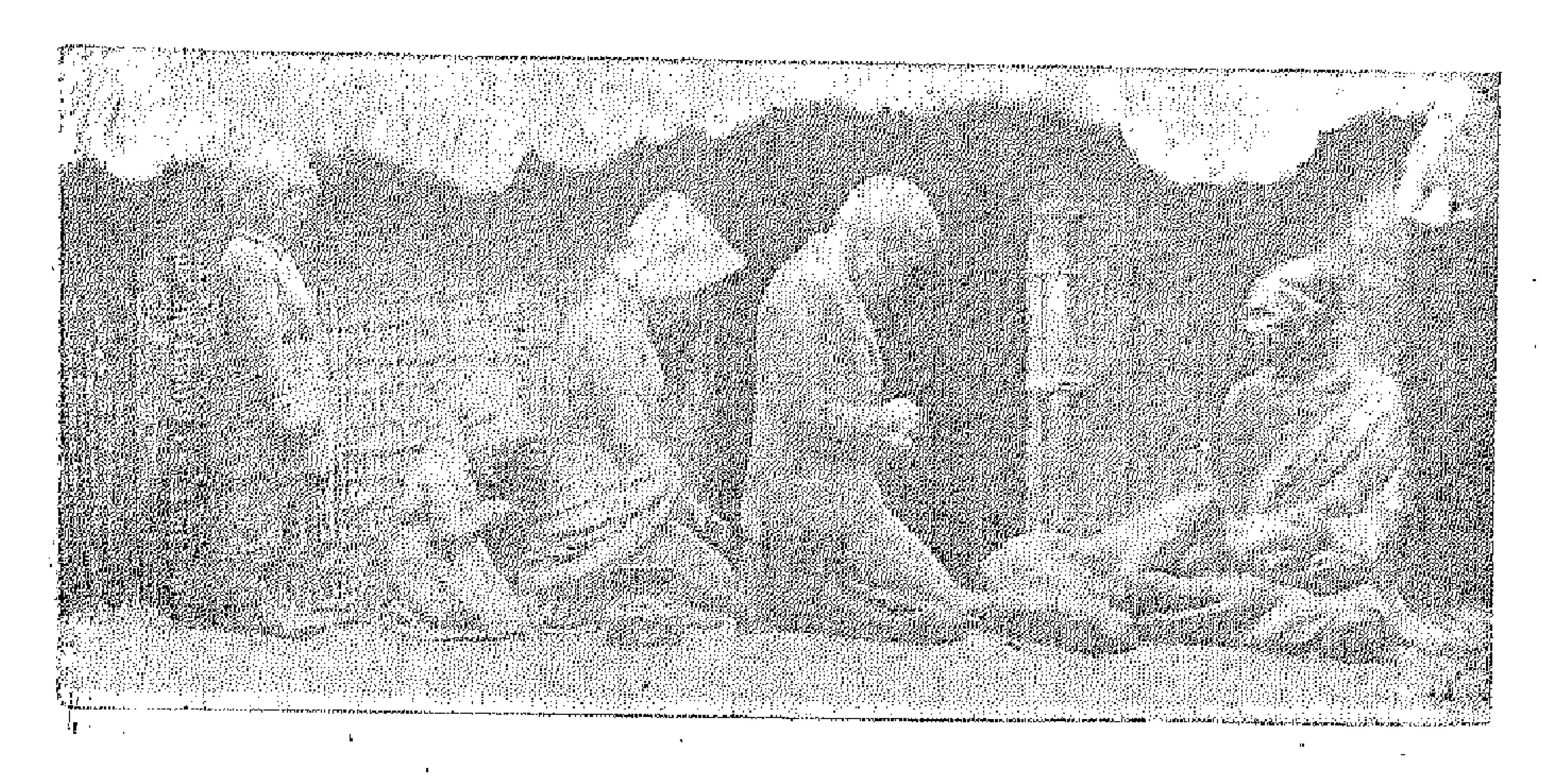
١٨٧١ وهو متعب مريض منهوك القوى . اذ أنه قضى الى ذلك الحين ستّ سنواتٍ كاملة بعد ارتحاله من انجلترا ، وهو يتنقل بين أراض مجهوله لم تطرق من قبل ، ولم يكن يتسنى له أن يبعث منها رسالةً الى انجلترا ، حتى ان ذلك أثار الجزع

عليه فى انجلترا وفى أمريكا بسبب انقطاع أخباره .

وفى ذلك الحين أُرْسِلَ صحافى ناشىء اسمه ستانلى للبحث عن لفنجستون ، ومن حسن الحظ أن لفنجستون لم يكن قد أمضى أسبوعا فى يُوجيجى ، حتى كان ستانلى قد وصل ذلك المكان قادماً من زنزبار ، وقد حمل معه المؤن وكثيرا من المستلزمات الطبية

ولقد كانت مقابلة الرحالتين الكبيرين ، من المقابلاتِ المشهورةِ فى تاريخ الكشفِ الجغرافى بل فى تاريخ العالم . تقابل الرحالتان فى المدينة ، وعند مامر ستانلى برحالتنا العظيم رفع قبعته قائلا :

« أظنك ياسيدى الدكتور لفنجستون ؟ »



لفنجستون الطبيب يواسى المرضى

ولقد كان فرح لفنجستون بهذه المقابلة عظيما ، عظيما لايقدر. فكتب فى مذكراته « لقد رجعتْ الىَّ شهيتى للطعام ، فصرتُ أتناول الطعام أربع مرات فى اليوم ، وما ان انقضى الأسبوع حتى كنت قويا معافى ».

وعند ذلك عَمِلَ لفنجستون وستانلى سَوِيا ، فرحلا الى شمال بحيرة تنجنيقا وطافا حولها فاكتشفا أنها ليستْ متصلةً بالنيل ، كما هى الحال مع بحيرة

نيأسا . وهذا ماأكد للفنجستون أن ليولابا لابد وأنها فرع من فروع النيل ، وبعد أن قضى ستانلى خمسة أشهر فى صحبة لفنجستون ، رجع الى زنزبار وأبحر منها الى انجلترا ، وأرسل من زنزبار الكثير من العدة ومن المجهزات الطبية . الى لفنجستون

النهاية

وفى أغسطس عام ١٨٧٢ ارتحل لفنجستون الى قلب القارة ، سائرا بحذاء الشاطىء الشرقى لبحيرة تنجنيقا ومن ثمّ الى بحيرة مويرو ، مؤملا أن يكشف منبع النيل . وكانت تلك المنطقة التى تنقل بين أرجائها كالاسفنج مغطاة بالأوحال

والمستنقعات ، وبالأشجار فى بعض الأحيان ،
وعدا ذلك فكانت حرارةُ الصيف على أشدها ،
فأصبح السفر لايطاق ، فأصاب الاعياء والمرض
لفنجستون ، حتى ان أتباعَه لم يَجِدوا بُدًّا من حمله
ولكنه فى النهاية ، لم يقدر على الانتقال ،
فأقيمت له خيمة صغيرة ، وفى ذات صباح — وكان
أول مايو سنة ١٨٧٣ — ذهب أتباعُه اليه فوجدوه
راكعا بجوار سريره — وجدوه ميتا !!

هكذا كانت خاتمة لفنجستون ، انبلُ رواد
افريقية ، لفنجستون الذى أطلق عليه الزنوج اسم
«السيد الكبير» والذى لقبه العرب «الطبيب العظيم» .

عند ذلك اجمعَ أتباعُه المخلصون على أن يحملوا جثته الى زنزبار ، فبعد أن حنطوا الجثة بقدر ماسمحت به معرفتهم ، وبعد أن حفروا جزع شجرةٍ بجوار المكان الذى مات فيه لفنجستون ، حملوا جثته الى زنزبار، حملوها معهم مسافةً لاتقل على ألف ميل، وحملوا معها ماخلفه لفنجستون من مذكرات ويوميات .

ومن ثَمَّ أُرسلت الجثةُ بطريق البحر الى انجلترا

وفى ١٨ ابريل عام ١٨٧٤ دفنت الجثة باحتفال عظيم فى دير دستمنستر فى لندن ، مدفن العظماء ، دفن لفنجستون بجوار عظماء الانجليز وملوكهم ، بجوار نابغيهم من شعراء وأدباء ومن سياسين ومن أمراء ،



كسب لفنجستون صداقة المتوحشين بالحب لا بالقوة

دُفن فى دير وستمنستر تقديرا لعظيم من العظماء الذين خدموا الانسانية ، وماتوا فى سبيلها .

ولم تَنسَ افريقيةُ جميلَ لفنجستون ، ولم تغفل تقديره ، فقد صَحِب جثمانَه من زنزبار الى انجلترا بعضُ أتباعه المخلصين ، وهناك وقفوا جنباً لجنب مع أبناء بلدته الانجليز ، وقفوا على قبر ذلك الرجل الذى قضى حياته فى افريقية وفى العمل فى سبيل افريقية . .

